

تأييدا لمقال أخينا الديواني لا تساواوا في المعاملة بين المبتدع والسلفي

بسم الله الرحمن الرحيم

روى مسلم في مقدمة صحيحه بسنده عن عبد الله ابن مسعود قال: (ما أنت محدث قوما بحديث لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة).

إن علم الجرح والتعديل، أو ما يسمى بعلم نقد الرجال والطوائف، علمٌ الخاص لا يدركه إلا من كان عالما بالشرع عالما بمقالة القوم، خبيرا بالأصول السلفية، بصيرا بالمقالة التي تخرج الرجل من دائرة أهل السنة إلى حفرة أهل الأهواء.

قال البرهاري: (ومن عرف ما ترك أصحاب البدع من السنة، وما فارقوا فيه فتمسك به، فهو صاحب سنة وصاحب جماعة، وحقيق أن يتبع وأن يعان، وأن يحفظ، وهو ممن أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم).

وحين خاض في علم الجرح والتعديل (فقه نقد الطوائف والرجال) طلاب أقرب ما يكونون إلى العامة، وعندهم حرقة للمنهج السلفي، ولكنهم لم يتربوا على أعين أهل السنة، ولم يحرق البن صدورهم، كان لبعضهم فتنة، وأحسن أبو داود التصرف حين لم يعرج على كل مسألة أو علة في الحديث فقال رحمه الله كما في رسالته إلى أهل مكة يصف فيها سننه: (وربما أتوقف عن مثل هذه لأنه ضرر على العامة أن يكشف لهم كل ما كان من هذا الباب فيما مضى من عيوب الحديث، لأن العامة يقصر عن مثل هذا).

وكنت أحضر مجالس شيوخ الشيخ ربيع في بيته بعوالي المدينة النبوية، فكان حفظه الله يسأل عن بعض المسائل والرجال فيجيب أحيانا، ومرات يعرض عن الإجابة، والحكمة في هذا أنه حفظه الله كان يتفرس في السائل، فإذا أدرك أنه وعاء للعلم أجابه، وإن أحس أنه غر لا يفقه من العلم شيئا وخشي عليه من عدم فهم الجواب أعرض عنه وأرشده لما يصلح له.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح وأظنه المجلد الأول: (ومن كره التحديث ببعض دون بعض أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان، ومالك في أحاديث الصفات، وأبو

يوسف في الغرائب، ومن قبلهم أبو هريرة كما تقدم عنه في الجرايين، وأن المراد ما يقع من الفتن، ونحوه عن حذيفة، وعن الحسن أنه أنكر تحديث أنس للحجاج بقصة العرائين لأنه اتخذها وسيلة إلى ما كان يتعمده من المبالغة في سفك الدماء، وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوي البدعة وظاهره غير مراد، فالإمساك عنه عند من يخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب، والله أعلم).

وهذا حال بعض شبابنا الذين نعاني منهم الأمرين، فقد تشابه عليهم الأمر، وصاروا كل من لا يوافقهم إلى ظاهر ما توصلوا إليه من أحكام في بعض المساكين بمحض تعجرفهم يعدونه مميعة، ومبتدعا، ولو كان من خيرة طلاب العلم فقها وأدبا وسلوكا وعلما، ومن وافقهم على قهورهم أفرغوا عليه وابل الألقاب، وأسمى التبريكات، ولو كان من فسلاء القوم، وأرذلهم، وإذا رُدَّ عليهم صنيعهم هرعوا إلى جزء البرهاري وقرؤوا منه بعض الفصول في ذم أهل البدع والتحذير منهم، فأقول لهم كلام الحسن بن علي البرهاري صحيح، والعيب جاء من القياس والإسقاط، فهل الذي أنزلتم عليه كلام البرهاري يعد من أهل البدع؟ أم أنه سلفي أخطأ في مسألة ويجب أن ينبه إلى الصواب بالعلم والحلم وهذا هو الواجب.

إن الوضع الذي يتخبط فيه بعض الشباب حالة نفسية حادة عاشها قبلهم بعض الشباب في مصر في الخمسينات وساقنتهم إلى هجر الخلق، وتبديع المجتمع، ثم أفلت هذه النحلة سنوات، ثم جاء محمود الحداد وأحيها بمخدعة محاربة البدعة ونصرة منهج أهل الأثر، وقد قام أسد السنة ربيع بن هادي بعد ما تفتن لغور بدعة الحداد وكشف زيفها للناس. وصدق أبو محمد الحسن بن علي البرهاري (329هـ) حين قال: (واعلم أنه لم تجئ بدعة قط إلا من الهمج الرّعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح) إن التعمق في المسائل، وولوج باب الإلزامات أمر خطير، فالسلف رحمهم الله كانوا ينهون عن الإغراق في الدقائق، والتفريط في الأمر المهم:

قال أبو جعفر القطيعي كما في طبقات الحنابلة: (سألت أبا عبد الله عن الوضوء بماء النورة؟ فقال: ما أحب ذلك، قلت: أتوضأ بماء الباقلاء؟ قال: ما أحب ذلك، قلت: أتوضأ بماء الورد؟ قال: ما أحب ذلك، قال: فقمت فتعلق في ثوبي ثم قال: إيش تقول إذا دخلت المسجد؟ فسكت، قال: وإيش تقول إذا خرجت من المسجد؟ فسكت، قال:

اذهب فتعلم هذا).

وقال المروزي كما في الأداب الشرعية لابن مفلح: قال أبو عبد الله: (سألني رجل مرة عن يأجوج ومأجوج أمسلمون هم؟ فقلت له: أحكمت العلم حتى تسأل عن ذا؟).

وأنا لا أقول لبعض طلابنا لا تردوا على المبتدع، ولا تحذروا من البدعة فإن هذا الكلام لا يقوله سلفي، ولكن أقول لهم حددوا المبتدع وبدعته، وخطره على الأمة، ولكل داء دواء، وعرفوا الجاهل بخطورة المبتدع على دينه ودنياه كما قال البرهاري: (وإذا رأيت الرجل جالس مع رجل من أهل الأهواء فحذره وعرفه، فإن جالس معه بعد ما علم فاتقيه، فإنه صاحب هوى)، وهذا كله يحدث بالعلم النافع والعمل الصالح، وسهر الليالي مع التفسير وكتب السنة، ومصنفات أئمة الإسلام، وتوزيع أشرطة العلماء التي فيها التحذير من البدع بأنواعها، فإن أصر المخالف على مؤانسة أهل البدع من الصوفية والخوارج والرافضة يرفع أمره إلى أهل العلم ومن باهم تأتي الأحكام،

ثم على اللبيب أن يركز على محاربة البدع التي انتشرت في مجتمعه وخفي أمرها على الناس، فنحن نعيش في مجتمع يغلب عليه التصوف وفكر الخوارج مع ذلك أجد هذا الباب مقفرا من المراجع الصوتية للعلماء فلست أدري لماذا؟! وفي المقابل أجد سهاما حادة وجهدت لبعض إخواننا من أهل السنة ضعفوا في مسألة، أو لم يحسنوا التصرف في أخرى لأسباب عديدة، مع مناصرتهم للمنهج السلفي ووقوفهم مع العلماء في الحق، فعمل مثل هذا زاد الصف السلفي وهنا، وقوى جانب أهل البدع والعياذ بالله، فأنا أبو عبد الباري عبد الحميد أحمد العربي أشهد الله وملائكته والناس أجمعين أنني أكره البدع والمبتدعة، وأوالي أهل السنة في الحق، وأناصرهم على كل مبطل منحرف، وأرى كما قال الإمام أحمد (قبور أهل السنة من أهل الكبائر روضة، وقبور أهل البدع من الزهاد حفرة، فساق أهل السنة أولياء الله، وزهاد أهل البدعة أعداء الله) فهل يعقل إذا صدرت مني كلمة أو عبارة لها سابق ولاحق دبلجها أنصار أهل البدع أتحوّل إلى مبتدع خبيث ذباب ولا حول ولا قوة إلا بالله. أتوب إلى الله من كل ذنب وبدعة، وأسأل الله أن يعصمني من الزلل، والله يا كتاب سحاب الخير حين أنزل بعض المقالات، ويقف عليها الوالد الشيخ ربيع ويرى فيها شيئا من شدة أو خطأ ما، فإنه حفظه الله يرسل لي توجيهها مع بعض الطلاب كالأخ عبد الله ناجي، أو مع بعض الفضلاء فيرسلوني على بريدي، فإنني والله ما أنام

حتى أكتب رسالة إلى شيخني أعتذر فيها على ما صدر مني، فأنا طالب علم ولا أدعي النبوغ فيه فمن رأى في مقالتي شيئاً فلا يتوان في نصحي وأكون له من الشاكرين. أسأل الله تعالى أن نلقاه على السنة الخالصة وأن يجنبنا الهوى وأهله إنه جواد كريم.

وكتبه على عجاله أخوكم أبو عبد الباري عبد الحميد أحمد العربي الجزائري

فوائد منتقاة:

الحكم على المخالف ثمرة صحة السند، فكيف تكون الغاية أيسر من الوسيلة، ولكن من تلذذ طعم أعراض أهل السنة وأدمن عليها سهل عليه كل شيء، وعلاجه في مستشفى كتاب الصمت لابن أبي دنيا.

نقول للإخوة الأفاضل بارك الله فيكم، وبخصوص أن النقد جاء متأخراً، فليس لي وأنا طاب علم صغير أن أتقدم العلماء في النقد، وإن كنت شعرت بخطورة هذا المنهج الغالي منذ زمان بعيد، فطويلب علم صغير مثلي لا يملك إلا أن يرفع الإنحرافات المنهجية التي يراها إلى العلماء وهم الذين يقدرّون الزمن المناسب لكشف زيفه، والتحذير من حامله، فإذا تكلم العلماء قمنا نحن طلاب العلم وأيدنا العلماء بما منّ الله علينا من العلم، والله تعالى أعلم

قاله أبو عبد الباري عبد الحميد العربي سلمه الله.